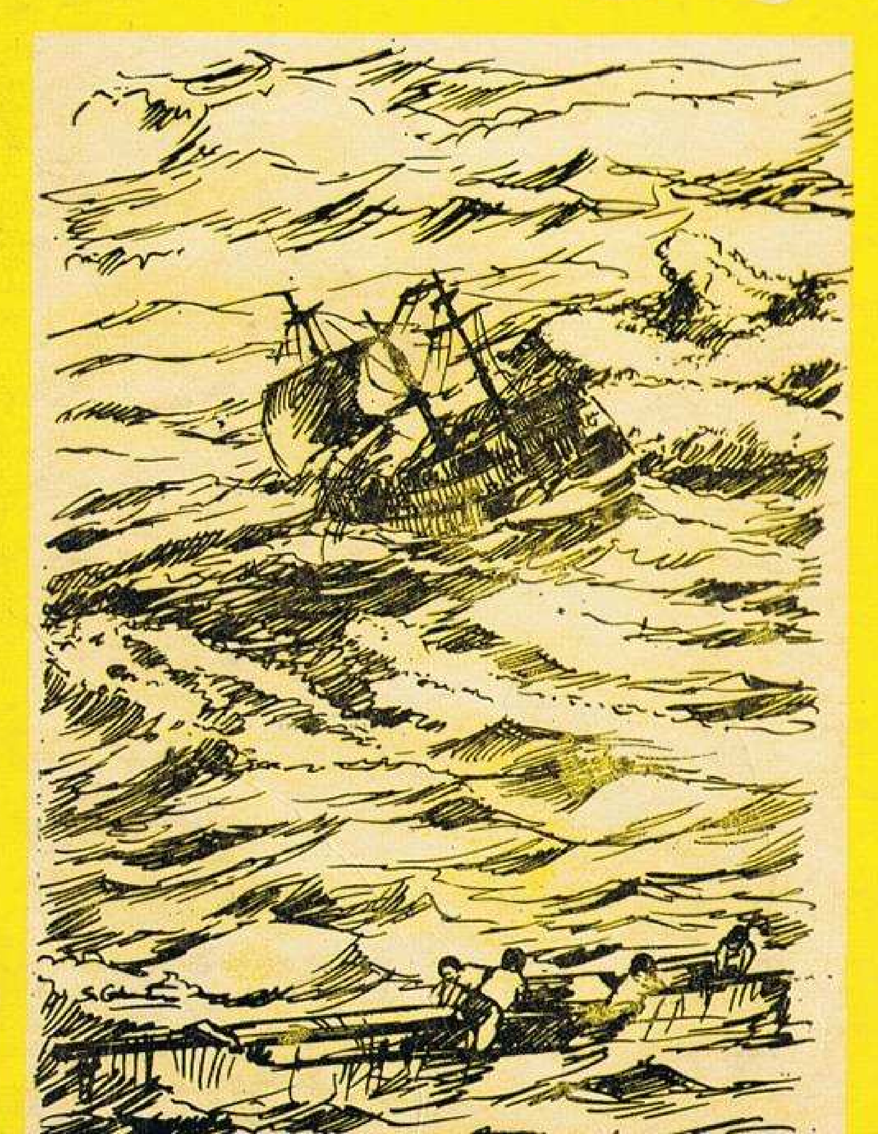


كوميديا الغلط



منشورات مكتبة سمير

بيروت - شارع غورو - هاتف : ٢٢٦٠٨٥



من قصص شكسبير

الليلة الثانية عشرة

تاجر البندقية

مكبث

العاصفة

يوليوس قيصر

حلم ليل من الصيف

الملك لير

كما تهوى

هملت

حكايات الشتاء

روميو وجوليت

كوميديا الغلط



كوميديا الغلط

تأليف
م. صوايا

منشورات مكتبة سمير
بيروت. شارع غورو. هاتف: ٢٢٦٠٨٥

الطبعة الأولى – ١٩٦٨

وليم شكسبير

– حياته –

ولد وليم شكسبير من أبوين من الطبقة الوسطى في ستراتفورد – آفون . وهي مدينة تجارية على بعض أهمية ، وكان مولده بين الرابع والعشرين من نيسان ١٥٦٣ او الثالث والعشرين منه ١٥٦٤ . وكان والداه مواطنين من واروبكشير . إنّ اباه جان شكسبير الذي كان عمله الرئيسي صناعة القفازات – الكفوف – تقدّم في حياته المدنية وصار عمدة بلدته في سنة ١٥٦٥ ثمّ صار شريف مقاطعة سنة ١٥٦٨ لكنّ الحظّ لم يحالفه طويلا فما لبث أن تأخرت أحواله . وأمّه هي ماري آردن .

تلقّى شكسبير علمه في مدرسة الملك ادوارد السادس –

ستراتفورد ؛ حيث لا بُدّ أنه أخذ نصيباً وافياً من اللاتينية ؛ وقد يكون تعلّمَ النزر من اليونانية أيضاً ، في سنة ١٥٨٢ تزوج آن هاثواي ؛ ونصّرت ابنته الاولى سوسنة في نوار ١٥٨٣ وقد تبعها توأمان في شباط ١٥٨٥ هما همنت وجوديت . وتوفيت اليصابات ابنة سوسنة حفيدة الشاعر ١٦٧٠ وكانت آخر حفيدة من سلالته مباشرة .

ليس لدينا معلومات ثابتة عن حياة شكسبير في الفترة الواقعة بين ١٥٨٤ و ١٥٩٢ . غير أن هنالك رواية تقول انه اقدم على سرقة غزال من حديقة السيد ت. لوسي شارلكوت . نحن نعلم ان شكسبير كان في لندن في تلك السنة لكن في ذلك الوقت الذي غشي فيه ذلك المكان . ولكنّ شكسبير في تلك الفترة من الزمن راح يختزن

المعارف المتنوعة ويجتني من الخبرة الحظّ الوافر فوقعنا على هذه الثمار الناضجة في رواياته .

يؤخذ من أقوال العاكفين على دراسة حياة شكسبير أنه كان قد برز منافساً شديد المراس لأهل الحذق من الجامعيين نظير : مارلو ، وبيل ، وناش ، ولودج في ايلول من سنة ١٥٩٢ . وفي السنين التي أغلق فيها المسرح لانتشار وباء الطاعون ، انصرف شكسبير الى نظم أشعاره في فينوس وأدونيس (١٥٩٣) ولوفريس (١٥٩٤) . وقد أهدى هاتين المنظومتين الى ارل سوثمتون .

في أذار سنة ١٥٩٥ صار شكسبيراً مشاركاً في فرقة اللورد تشمبرلن التمثيلية وتقاسم هو وفرقة الادميرال ادارة مسرح لندن من سنة ١٥٩٤ الى ١٦٠٣ . ولهذه

الفرقة التي أصبحت فرقة الملك ، تبين أن شكسبير خصها برواياته التي انكبّ على تأليفها حتى آخر سيرته في الكتابة . وبعد سنة ١٥٩٩ غدت معظم رواياته تُمثل على « المسرح الكروي . »

أما مقطوعاته الشعرية فالراجح أنه نظمها بين سنة ١٥٩٥ وسنة ١٦٠٠ ، لكنها لم تنشر الا في سنة ١٦٠٩ .

في سنة ١٥٩٦ حصل شكسبير على اجازة سلاح ؛ وفي سنة ١٥٩٧ اشترى مقاماً جديداً ، بيتاً متيناً وحديقة في ستراتفورد ، لكن ظل مقيماً في لندن حتى سنة ١٥٩٩ و ١٦٠٤ .

وكان شكسبير هو نفسه يظهر ممثلاً على المسرح قبل سنة ١٥٩٨ بصفة خاصة . في نحو سنة ١٦١٠ عاد

شكسبير الى ستراتفورد . ولم يكتب شيئاً بعد عام ١٦١٣ .

لم يشترك شكسبير في وظيفة حكومية او مدنية ومات في ٢٣ نيسان ١٦١٦ . لا ثمة سبب أن نرفضَ الرواية بأنه مات في حُمىً نشأت عن اسرافه في الشراب في ليلة أنس مع صديقيه : درايتون وبن جونسون .

أما أسرته ، فقد انقرضت .

كوميديا الغلط

حدث أنه وقـــع خلاف بين ولاية سرقصطه في صيقليه وولاية أفسس في آسيا الصغرى . لهذا السبب وضع الأفسسيون قانوناً يجبر كل تاجر سرقصطي يتفق لـه أن يأتي أفسس ، على دفع غرامة كبيرة او يقتل في الحال .

في تلك الأثنــاء ، اكتشف مواطنو أفسس في مدينتهم تاجراً سرقصطياً مُسنّاً يُدعى آجون . فامسكوه وقادوه الى الدوق الحاكم . فطالبوا باجباره على دفـــع الغرامة ، أو بقتله . ولمّا لم يكن آجون يملك الاّ القليل من المال ، أصدر الدوق الحكم عليه بالاعدام ، وذلك بحسب

القانون . ولكنّه سأله لِمَ أقدم على هذه المغامرة الخطرة فأتى أفسس .

حينئذٍ قصّ عليه آجون القصة المحزنة التالية :

« ولدت يا سيدي في سرقصطـــة ، ولمّا شببت أصبحت تاجراً . فنجحت في عمـــلي وتزوجت زواجاً سعيداً . لكن اتفق لي أن أعمالي التجارية اضطرتني الى الانتقال الى مدينة ايبيدانوم البعيدة ، فلبثت فيها أكثر من ستة أشهر . ولمّا لم أستطع أن البث وأتحمل البعد عن زوجتي مدة أطول ، ارسلت اليها لتلحق بي . وعلى أثر وصولها ولدت صبيين توأمين متشابهين كل التشابه حتى لا يقدر أحد أن يميز الواحد من الآخر . وأغرب من هذا ، أنه حدث في الوقت نفسه أنّ امرأة فقيرة كانت نازلة في الفندق ذاته ، وعندها صبيان توأمان متشابهان تماماً :

واذ كان أبواهما فقيرين جدّاً يعجزان عن اعالتهما ، وكنت أنا من الموفقين ، رأيت بأن الخطـة حسنة بأن أتخذهما كخادمين لولديّ ، فاشتريتهما من والديهما .

وطال بعدنا عن الوطن ، فتشوقت زوجتي للعودة الى سرقصطة ، فوافقت على ما أرادت . فانقلب بهذا علينا وجه الزمان ، وبدأ طالع نحسنا . فانّ المركب الذي اتخذناه لسفرنا هَبّت عليه عاصفة شديدة وأشرف على الغرق . فاجتمع البحارة في زورق وحاولوا أن يبلغوا به الشاطىء ، وتركونا نحن الركاب المساكين في عرض البحر. كيف استطيع أن أخلص زوجتي الباكية المسترحمـــة ، وانقذ أولادي وسائر عيالي ؟ انني لا أدري ؟ لقد حرت والله ، في أمري . لكن ، كآخر ملاذ ألجأ اليـــه ، أوثقت زوجتي والولدين الكبيرين بقوّة بصار كان لا يزال

سالماً ، واوثقت نفسي مع الصغيرين بصار آخر . وقلت في نفسي : اذا غرق المركب ، فلا بُدّ أن يعوم الصاريان فنبقى متثبتين بهما فلا نغرق . فقد يتفق لنا او لأحد منا مركب يمرّ فينجد من الموت .

وهذا ما حدث . فان مركبنا حطمته العاصفة على الصخور قطعاً . وتساقط الصاريان بنا الى البحر . ولكنّ الصاريين اللذين انقذانا من الغرق في عباب البحر ، تقاذفتهما الامواج ، فابتعد الواحد عن الآخر ، حتى لم أقدر أن أؤدي أية نجدة لزوجتي والصبيين الاكبرين . ولقد سُرّي عني لمّا رأيت زورق صيّادين — أظنهم من كورنثوس — قد لحهم ؛ وعلى مرمى نظري رأيت الصيادين ينقلونهم الى الزورق . لكنهم لم يستطيعوا أن يبصرونا ،

وظنوا ، كما أفترض ، أننا غرقنا . ولم يمضِ وقت طويل حتى اتفق لنا مركب فانجدنا . وقد عاملنا بحارته برفق وحملونا الى وطننا سرقصطه سالمين .

لكن ، منذ ذلك اليوم ، انقطعت عني أخبار زوجتي وكبير ولديّ وخادمه الصغير . مع اني فقدت زوجتي العزيزة وكبير ابنيّ وخادمه ، فقد بقي لي ابني الأصغر وخادمه معه . فعاش معي في سرقصطه وترعرع حتى صار على مطل الشباب . لكنّ رغبة ملحة في معرفة ما حصل للاحباء الآخرين أشعلت أفكارنا . أخيراً ، قرر ولدي أن يتركني على أرض الوطن ويمضي وحده للبحث عنهم . فانقدت مُرغماً ، لالحاحه ، ومضى هو وخادمه في هذه الرسالة . آه ! كيف سمحت له أن يتركني !

سبع سنوات مضت ، ولم يعد ، وهكذا ، أنا أيضاً غادرت سرقصطه لابحث عن الشاردين . وتجوّلت في هذه الدنيا طولاً وعرضاً ، دون جـدوى . حتى خاطرت بالنفس لابحث عنهم هنا في أفسس ، حتى اذا لم أعثر عليهم ، استطيع عندئذٍ ، أن أجد المـوت ميسوراً . وصدقني يا سيدي ! انني الاقي الموت بغبطـــة ، اذا علمت ان زوجتي وأبنائي لا يزالون أحياء سالمين .»

لا بُدّ أن نتصوّر الدوق قد تأثر من سماع هذه الرواية المحزنه ، لكنه ، لم تكن له ارادة في العفو عن ذلك الشيخ المسكين ، لأن القانون لا يرحـم . لكن ، بدلاً من أن ينفذ فيه حكم الاعدام على الفور ، فسح له يوماً من الحرية ، يسعى فيـــه ، لعله يجد المال المطلوب

غرامة عنه للولاية . فقد يقوده الحظ الى من يقرضه هذا المال فينجو من الموت .

أمّا هذا التأجيل الذي افتعله الدوق ، فلم يجد فيه آجون نعمة كبيرة ، فهو لا يعرف في أفسس أحداً ، وقد افترض ، أنه لو قدر له أن يعرف أحداً ، فاهل أفسس الذين لا صداقة بينهم وبين أهل سرقصطه ، من النادر النادر أن يجد بينهم مَن يدفع له المبلغ المطلوب . والى ذلك ، فالحياة لا تحمل له في ثناياها غير الاحزان .

إنّ الشيء الضئيل الذي كان يتوقعه ذلك الوالد الحزين ، حصل . في ذلك اليوم بالذات وجدَ في أفسس ابنيه اللذين طالما بحث عنهما .

إن تؤمي آجـــون ـ كما نتذكر ـ المتشابهين كل التشابه ، أعطي لهما اسمٌ واحد هو أنتيفولوس ، وكذلك خادماهما دُعيا باسم واحد هو دروميو .

في اليوم بعينه ، الذي جاء فيه آجون الى أفسس ، اتفق أنّ الابنين التوأمين ، بالاسم والمولد والخلقـــة ، والخادمين الشبيهين جاءوا اليها كذلك . أمّا انتيفولوس الأصغر الذي عاش مع أبيه في سرقصطه ، فقد نزل في ذلك الصباح الى برّ أفسس . ولحسن حظه ـ أنذره بعض أصدقائه بوجود القانون المفروض على تجـــار سرقصطه ، وأخبروه بأنّ تاجراً سرقصطياً مُسناً ، قـــد حكم عليه بالاعدام في هـــذا الصباح . لذلك عرّف أنتيفولوس نفسه بأنه تاجر من ابيدانوم .

أمّا أنتيفولوس الآخر ، ولم يكن غير ابن آجون الأكبر ، فلم يكن حديث القدوم الى أفسس . انه كان مقيماً فيها منذ عشرين سنة . وصار تاجراً ناجحاً غنياً . ونسي أباه من زمن ، فهو لا يتذكر الاّ أنه افترق عنـــه منذ عهد طفولته ؛ ولا هو يتذكر أمه كذلك .

لمّا تعرّض المركب للغرق ـ كما مرّ بنـــا ـ كان قد أوثق مع امه ودروميو الآخر الى الصاري ، وقـــد انقذهم قارب الصيـــد ، ـ كما نذكر ـ أمّا الصيادون المنقذون ، فقد أخذوا الولدين من امهما وباعوهما من محارب مشهور اتفق انه كان عمّاً لدوق أفسس . ورافق الحظ انتيفولوس هذا ، بأن أحبـــه الدوق فجعله ضابطاً في جيشه ، فبرهن بأنه جندي باسل محظوظ . اذ اتفق له

أن أنقذ حياة الدوق في المعركة . وعلى سبيل المكافأة زوّجه الدوق بسيدة غنيـــة من أفسس تُدعى أدريانا . وبقي درومِيو العبدُ حاجباً له . أمّا عن سائر الأسرة ، فلا يعرف شيئاً . والآن ، هو يجهل أنّ أخـاه التوأم أنتيفولوس السرقصطي موجود في أفسس وأن توأم درومِيو موجود هنا ، هو كذلك .

في هـذا الوقت ، كان أنتيفولوس السرقصطي ، لكونه قد جاءَ حديثاً المدينـة ، أرسل خادمه درومِيو بكيس من المال ، الى الفندق الذي يريد أن ينزل فيـه . بينما ، راح هـو يتمشى ويتفرّج في أحياء المدينة . وفي تجوّله ، كان يبدو واجماً مستوحشاً من الوحدة ، لأنـه طالما انتقل من مكان الى مكان ، سنـةً بعد أخرى ،

مفتشاً عن أمه وأخيه المفقودين . ونظر حوله ، فأخذته الدهشة ، أن يرى درومِيو ، - كما حسبه - قـد عاد اليه في الحال . ولكنّ الحقيقة في أن الذي رآه كان توأم درومِيو الذي يخصـه ؛ وكان قادماً من دار أنتيفولوس الآخر ليدعو سيده الى البيت لتناول طعام الغداء . وحسب درومِيو الافسسي هـذا أنه يرى سيده اياه بالذات . لذلك ، بدأ يذكر أنتيفولوس بأن زوجته تنتظره وأنـه قد تأخر عن الموعد :

« لقد برد الطعام ، ولم تحضر الى البيت

الا تعود الى البيت ، لأن ليس لك قابلية ،

لا قابلية لك ، لأنك تناولت طعام الصباح ؛

وطفق يردد مثل هذه الأقوال ، نصفها بالاشارة ، ونصفها بحماسة ، لأنه يعرف أن معلمه يُسرُّ بحركاته المازحة .

غير أن هذا الانتيفولوس الذي يخاطب والذي لا زوجة له ولا بيت في أفسس ، تكدّر ـ طبعاً وارتبك : مردداً : « هذه حركات غير معقولة ، أين تركت المال الذي أعطيتك اياه ؟»

لكن المال ، الذي كان في حوزة هذا الدروميو لم يكن أكثر من ستة فلوس كان قد أخذها من سيده ودفعها للسروجي الذي أصلح سرج جواد سيدته . ولمّا قال هذا لانتيفولوس ، ازداد هذا كدراً منه . وبعد زيادة من الاسئلة المتشابكة والاجوبة الملتوية ضرب دروميو المسكين ، فانطلق مسرعاً الى البيت ، الى سيدته أدريانا زوجة أنتيفولوس الآخر ، وقصّ عليها ما حدث .

فتكدرت أدريانا ، لأنها لم تكن تتوقع ، لا أن

يعامل دروميو هذه المعاملة وقد ذهب للبحث عن زوجها ، ولا أن يقدم زوجها على هذا التصرف الغريب في الجواب على بعثتها الخادم اليه . وبحركة اشمئزازٍ من تصرّفه بعثت اليه بالخادم مرة ثانية تدعوه للحضور ؛ ثمّ لحقت بدروميو على الأثر

في الوقت نفسه ، كان أنتيفولوس السرقسطي ، وقد قلق على كيس دراهمه ، فأسرع الى الفندق . وهناك ، كان لا بُدّ أن يجد دروميو خادمه قد أنجز ما أمر به . فأخذ يؤنب دروميو هذا على مزحه معه ، بأن دعاه الى بيت غريب ليتناول غداءه هناك ، ولتظاهره بأنه لا يعلم شيئاً عن الذهب الذي إئتمن عليه . فاجاب دروميو مازحاً ، ظاناً أن سيده يمازحه . فاذا به أيضاً مثل

دروميو الآخر يناله زجر وضرب من أنتيفولوس لقحته .
ولم يستطع المسكين أن يفهم لماذا ضُرب . واخذ يصرخ
محتجاً .

وبينما هما في جدل حامي الوطيس ، أقبلت أدريانا
زوجة أنتيفولوس الآخر عليهما ، ومن البده ، أنها حسبت
انتيفولوس هذا زوجها ، فرشقته برجم من التوبيخ لاهماله
اياها . واذ تراجع عنها متعجباً ، خيّل اليها أنه سينقطع
فجأة عن حبها . فعادت تتوسل اليه ان يتصرّف معها
كما يجب أن يتصرف الزوج مع امرأته .

أما انتيفولوس المدهوش ، فلم يدرك شيئاً من
توبيخها ، وقال : « اني لا اعرفك » فما أنا الا انسان

غريب في أفسس . ولم أطأ أرض هذه المدينة الا منذ
ساعتين فقط .

غير أنها ظلت تلحّ بأنه هو زوجها ، وان دروميو
هو عبد زوجها وخادمه ، واستمرت تتوسل اليه ان يأتي
البيت للغداء ، حتى انقاد أخيراً لالحاحها . ورافقها هو
ودروميو الذي يخصه الى منزلها . وكان دروميو دهشاً
مثل سيده ، خصوصاً عندما أقبلت الخادمة – وكانت
زوجة دروميو الآخر – وراحت تعامله معاملة امرأة
لزوجها .

كان الزوج الحقيقي ، قد تأخر عن العودة الى
منزله لاشغال ضرورية : وكما مرّ بنا ، فان دروميو
الآخر الذي بعثت به أدريانا للبحث عنه ، كان قد دعا

أنتيفولوس الآخر خطأ . لكن لمّا أرسلته الزوجة للمرة الثالثة ليأتي به ، عاد الى سيده الحقيقي ، وسيده هو زوج أدريانا الحقيقي ، فأسرع الى البيت للغداء .

وبديهي أنه لم يعلم شيئاً ممّا حدث في بيته : وقد ذهل لمّا قال له دروميو خادمه الخاص ، أنه كان قد دعاه مرتين وأنه ضربه . لكن ، لمّا وصل الى منزله تعباً جائعاً ، وجد الباب موصداً في وجهه ، ولم يسمح له ولا لخادمه دروميو بالدخول . لأن دروميو الآخر خادم أنتيفولوس الذي راح يتناول الغداء مع أدريانا ، كان قد أمر أن لا يدع أحداً يدخل الدار . هكذا ، فان الزوج الحقيقي ، وصاحب البيت ، وقف خارجاً يطلب أن يدعوه يدخل ، صارخاً بصوت عالٍ بأنه هو أنتيفولوس .

ولمّا قرع الباب داعياً الذين في الداخل أن يأذنو له ، سخر منه الخدم ، وصرحوا له بأن أنتيفولوس ودروميو هما في هذا الوقت في المنزل ، يتناولان الغداء. وبالرغم من صراخهما وقرعهما الباب فلم يفتح لهما أحد . أخيراً ، ذهب الزوج المطرود وخادمه بعيداً ، غاضباً من زوجته التي دعت رجلاً آخر للغداء معها وتركته خارجاً.

وفي داخل المنزل أيضاً لم تجرِ الأمور على ما يرام. فان أنتيفولوس السرقصطي ارتبك جدّاً من تصرّف أدريانا معه . فقد وقف منها موقف غير المحب ، مع أنّ أختها لوسيانا ، التي تسكن معها ، نالت اعجابه . فاغتنم اول فرصة مناسبة ، فدعا اليه دروميو ، وانسلاّ من البيت . واول رجل التقاه انتيفولوس

السرقصطي في الشارع ، كان صائغاً قاصداً ذلك البيت . فحيّاه الصائغ وقدّم له سلسلة ذهبية . اذ ظنّه انتيفولوس الافسسي الذي كان قد أوصاه مؤخراً أن يصنع له سلسلة . ولم يعتبر امتناع انتيفولوس هذا عن أخذ السلسلة جِدّاً ، بل ضغطها في يده ومضى في طريقه قائلاً انه سيعود لأخذ الثمن . تجاه هذه الأمور التي جرت ، فكر هذا الانتيفولوس في أنه خير له ان يغادر أفسس في اسرع وقت ممكن ، لأنه لا يدري ما سيقع له من الأمور الغريبة . وهكذا ، أرسل درومبو خادمه ليقطع له تذكرة سفر في اول مركب يغادر المرفأ .

لنعد الآن الى انتيفولوس الآخر زوج أدريانا الحقيقي ، فقد التقى في آخر الشارع الصائغ الذي أعطى

السلسلة لاخيه التوأم خطأ . ومن سوء حظ هذا الصائغ أنه كان قد استعار بعض المال من أحد التجار ، ولم يكن قادراً على وفاء الدين حتى يقبض ثمن السلسلة . فلمّا التقاه انتيفولوس في الشارع ، كان قد قبض عليه أحد الضابطة واوقفه بسبب ذلك الدين ، وبطلب من التاجر الدائن .

فكان من البده ، أن يتحوّل الصائغ الى انتيفولوس ويسأله أن يدفع له ثمن السلسلة ، لأنه يحتاج المال لوفاء دينه . فأنكر أنتيفولوس ـ طبعاً ـ أنه لم يستلم السلسلة . ولكنّ الصائغ أكدّ الأمر . وأخيراً ، أوقف رجل الضابطة الاثنين معاً : الصائغ لأنه لم يدفع الدين المستحق عليه للتاجر ، وأنتيفولوس ، لأنه لم يدفع ما عليه للصائغ .

وراح يدفعها نحو السجن . في تلك اللحظة ، كان دروميو السرقصطي عائداً من الميناء متوجهاً نحوهم ، فوجه الكلام الى أنتيفولوس على أنه سيده ، قائـــلاً ان المركب على استعداد للسفر . لكن ، كل ما تلقى من جواب هو أمر بأن يذهب رأساً الى أدريانـــا ، ويأتيه بمبلغ كافٍ من المال لينقذه من السجن بسبب الدين . فعمل بما أمر به. وفوجئت أدريانا بنبأ توقيف زوجها بسبب دين ، فسلمته المال في الحال .

لكنّ المال لم يصل الى أنتيفولوس المقصود به . لأن أنتيفولوس السرقصطي هو من التقاه دروميو أوّلاً في عودته من البيت ، وله قدّم المال . فتحيّر أنتيفولوس هذا مما جرى له من أمور تحيّر العقـل في ذلك اليوم ،

حتى كاد يعتقد بأن ثمة سحراً يدور بـه او أنه في حلم غريب . الناس يحيونه في الشارع واحد وراء آخر كأنه صديق ، يتحدثون اليه ، يعطونه مالاً او يدعونه لزيارتهم ، أو يشكرونه لمعروف صنعه ! ان خيّاطاً دعاه ـ بالفعل ـ الى محله وأخذ قياسه ليصنع له بـدلة من الحرير . وان كلام دروميو يزيد في حيرته ، يحدثه عن توقيفه ، وعن انه كان مهدداً بدخول السجن لو لم يدفع المال ، وهكذا دواليك ... وفي رأس هذه الامور جميعاً سيدة من أفسس ، جاءَت تذكره بانها تناولت الغداء معـــه في ذلك اليوم بالذات ، وأنه كان قد وعدها بعقد ، وانها لن تتركـه حتى يأتيها به . أخيراً جن جنونه ، فانكر أنه يعرفها ويعرف شيئاً عن عقدها ، ونعتها بنعوت غير مستحبة . وفرّ هارباً منها بكل ما أوتي من خفة . هو ، ولا شك ،

أخطأته ، فالتبس عندها بأخيه ، فانكر كل شيء من الحقوق التي طلبتها منه . ففكرت في أن تقصد منزله وتخبر أدريانا بانه سرق عقدها وتصرّف معها تصرّف مجنون .

وحققت المرأة فكرتها . وبينما كانت تقص الحكاية على أدريانا ، وصل أنتيفولوس الزوج الحقيقي الى بيته غاضباً منها لأنه لم يقبض المال لاجل كفالته ، فجاء بنفسه لأخذه وصحبه رجل الضابطة الذي كان قد أوقفه ليأخذه الى السجن من أجل دين لم يدفعه .

عندئذٍ تأكد لادريانا أن زوجها أُصيب بمس من جنون ، فبالاضافة الى ما روت المرأة عنه ، كان منه ذلك التصرف الغريب وقت الغداء ـ لما تظاهر بانه لا

يعرفها ـ وانه لم يعرفها ولا كان في يوم من الايام زوجاً لها . لذلك ، صرفت رجل الضابطة ، بعد ما دفعت له المال المطلوب ، ودعت خدمها ليدخلوا فيوثقوا زوجها بالحبال ويحبسوه في غرفة مظلمة ، فقد كانت تلك هي الطريقة المعروفة عندهم لمعالجة المجانين في تلك الايام .

على أثر ذلك ، جاءَها من يقول لها إن زوجها ودروميو رآهما الناسُ خارجاً يسيران الشارع . لا شكّ بأن أنتيفولوس ودروميو السرقصطيين هما اللذان وقعت عليهما أنظار الناس . لكنّ أدريانا ظنت زوجها وجد مهرباً ما ، فأسرعت مع خدمها الى الشارع لتعود به الى البيت . فسحب أنتيفولوس ودروميو حساميهما ، وراحا يهددان كل من يحاول أن يقترب منهما . غير أن الصائغ الذي صنع السلسلة لانتيفولوس الأفسسي ، اتفق

أن مرّ من هناك في تلك اللحظة ، وبصحبته التاجر الذي اعاره المال . إننا نذكر ، أن السلسلة انتهت خطأ الى أنتيفولوس السرقصطي وكان قد تقلّدها في عنقه . فلمّا رآها الصائغ ، تقدم اليه ووبخه على نكرانه ، وها هي السلسلة تطوّق الآن عنقه ، وكاد القتال ينشب بينهما بهذا السبب . لكنّ أدريانا تدخلت في الأمر ، ترجوهما ألاّ ينزلا أذى بزوجها المسكين ، المصاب بالجنون ، فليساعدا على القبض عليه وربطه بالحبال هو ودروميو لتعود بهما الى البيت .

من حسن حظ هذين الاثنين ، أنهما كانا عند باب دير ، وكان مفتوحاً . وكان البناء المقدس في ذلك الزمن خير ملجأ لمن يطلب الحماية فيه ، فلا يجسر أحد على

اقتحامه . فدخلا مسرعين الى الدير ، وعلى الأثر خرجت الرئيسة الصالحة تسأل ما السبب .

فلمّا سمعت رئيسة الدير رواية أدريانا عن السبب ، وكيف راحت توبخ زوجها على اهماله أمرها ، بدا لها أن ما أصابه هو من شدة ضغط امرأته على عقله . فأبت أن ترد أنتيفولوس لادريانا ، قائلة ، بانها ستتولى هي بالذات القيام على أمره ، وترده مُعافى في وقت قريب . فادخلت أنتيفولوس وخادمه الى داخل الدير واغلقت الأبواب دون الآخرين .

وهكذا ، بينما الزوج الحقيقي وخادمه دروميو كانا لا يزالان معتقلين في البيت ، فان أنتيفولوس الآخر ودروميو خادمه ، صارا في أمان داخل الدير .

علينا الآن أن نعود لبدء هذه القصة ، الى آجون العجوز والد الانتيفولوس التوأمين ، والى ما حلّ به من شقاء . فان الدوق – كما نذكر – حكم عليه بالموت الا اذا استطاع أن يتدبر المال المطلوب منه غرامة للدولة في ذلك اليـــوم بالذات . ان الوقت الذي فسح به له ، تناهى . واقتيد العجوز المسكين الى خارج المدينة ليستقبل الموت . وقـــد خرج الدوق أيضاً ، حتى اذا ظهر ولو في آخر لحظة مَن يدفع الغرامة عن آجون ، أوقف تنفيذ الاعدام .

كان الموضع المعد لتنفيذ الاعـدام قريباً من الدير ، وبينما كان الدوق مارّاً بالمكان ، دنت منه أدريانا باكية تلتمس العدالة . قالت انها بالرغم من كل توسّل ، فـانّ

رئيسة الدير أبت أن تسلمّها زوجها المجنون . فاصغى اليها الدوق مشفقاً . وكاد يبعث بمن يدعو الرئيسة اليه ليبحث القضية من الطرف الآخر ، واذا باحد خدام أدريانا يقبل عليها راكضاً وهو يحمل لسيدته أنباء جديدة قائلاً : إن زوجها وخادمه دروميو ، قد تمكنا من حل الوثاق ، وأن زوجها ضرب الطبيب الذي أمر بحبسهما داخـل الغرفة ، وراح ينادي مَن يأتيه بزوجته أدريانا . انـه يريد أن يطلب منها جواباً على تصرفها معـه . فاقبلت أدريانا على الخادم وصرّحت بأنها تعلم أن زوجها هو في داخل الدير . ما كادت تقول هـذه الكلمات حتى ظهر انتيفولوس زوجها الحقيقي بذاته ودروميو معه . فأخذ أدريانا ذهول ووجوم .

واول شيء أتاه أنتيفولوس ، بأن قـدّم نفسه

للدوق ، طالباً منه أن يحكم بالعدل بينه وبين زوجته . كان واقفاً هناك يتكلم ، وآجون العجوز يحدّق النظر اليه ويقول في فكره - الى هنا كان ابني الحبيب أنتيفولوس ، قد تركني منذ سبع سنوات للبحث عن امه وأخيه ، لكن ، لماذا ؟ آه ! لماذا لم يعد يعرف أباه ؟» ولمّا حيّا أنتيفولوس بدموع الفرح ، أنكر الأخير كل معرفة به - وليس الأمر بغريب عن الطبيعة، لأننا ، كما نعلم ، أن هذا الانتيفولوس ، قد فارق أباه منذ طفولته الباكرة ، يوم هبت عليهم العاصفة في البحر . والعجوز المسكين يعتقد بأنه ابنه الآخر ، لا يصدّق ، ودموعه تتناثر ، كيف ان ابنه الشاب ينساه ، وظلّ ينادي أنتيفولوس ليتعرّف الى أبيه .

أخيراً ، وصلت هذه الحيرة ، وتلك الارتباكات ،

الى نهايتها . لأن أبواب الدير فتحت ، وخرجت الرئيسة مسرعة ووراءَها أنتيفولوس الثاني ودروميو الثاني أيضاً . لاول مرة يجتمع لدينا الانتيفولوسيان والدروميان ؛ وكذلك الأب العجوز .

حينئذٍ تذكر الدوق القصة التي رواها له آجون عن توأميه الانتيفولوسيين وعن التوأمين الدروميين وان الرواية المعقدة التي أصغى اليها وضحت له معالمها الآن .

فتذكر أنتيفولوس السرقصطي أجون أباه بموجة من الفرح ، وراح آجون ، ينقل نظره بين ابنيه ، يكاد لا يصدّق أنه يراهما من غبطته . غير أنّ الفرحة الكبرى ، غير المنتظرة ، قد حصلت بأن رئيسة الدير لم تكن سوى زوجة آجون الضائعة من زمان بعيد . وقد افترقت عن زوجها واولادها على أثر غرق المركب .

عندئذٍ ، أخذت تقص على آجون والآخرين ،

كيف أتت أفسس مجردة من زوجها واولادها ، فدخلت ديراً ، وبمرور الزمن صارت رئيسة عليه .

ونهاية كل شيء كان هذا الاجتماع السعيد للأسرة الطيبة بعد فراق طويل . وكان لا بُدّ للعقدة الأخيرة ان تُحل . فان السلسلة الذهبية عادت الى مَن أوصى عليها حقيقة ، ودفع للصائغ والتاجر ديونهما ، وأدريانا حصلت على زوجها الحقيقي سالماً سعيداً ، بعد ما كان ، كما بدا لها ، مجنوناً أو غريباً .

وكان مسك الختام ، العفو الذي منح لآجون ، وكان ، كما نذكر ، محكوماً بالاعدام . من الطبع ان يسرع أنتيفولوس الأفسسي الغني الى دفع الغرامة ، عن أبيه ، غير أن الدوق عفا عن آجون بدون مقابل .

ثُمّ تزوج أنتيفولوس السرقصطي ، احدى صديقات أدريانا ، وعاش الكل في جمع شامل ، وهناء دائم .

ملاحظات على
مسرحية كوميديا الغلط

هذه أيضاً مثل مسرحية « ليل من الصيف » ذات شخصية فذة ، فيها من المأساة عناصر حيّة وان يكن شكسبير سمّاها كوميديا الغلط . فهذا الغلط الذي كان للطبيعة فيه يد وللاقدار فيه يد ، وللانسان كذلك نصيبه من هذا الغلط ، أحدث أزمــات متعددة وارتباكات وتشابكاً والتواءات مَزجت الحزن بالفرح ، والسخريـة بالتهكم ، واتهمت العقل بالجنون والفكر بالشرود . فكانت هــذه الكوميديا التي ترينا شكسبير يلهو باشخاص يبدعهم من خياله كصانع الدمى الحاذق يبدع ليسخر ثُمَّ لا يلبث أن يجد الغاية الجادة عن طريق لهوه وسخره . واذا كان

التاريخ أوجد ـ حقاً ـ هــذا الخلاف بين سرقصطة وأفسس والعقل الراضخ للحقد والتصلب صنع القانون الجائر ، فان التاريخ والعقل أيضاً لهما يدٌ تؤيّد القــدر العابث بحياة الناس .

القصة طويلة العمر تجمّعت فروعها في يوم واحد وفي مدينة واحدة في أفسس يوم ألقي القبض على آجون السرقصطي في أفسس لِيُقتَل او ليتدبر أمر الغرامــة ، وأنّى له ذلك ؟ القصة غريبة بالابنين التوأمين المتشابهين ، وبالعبدين التوأمين أيضاً اللذين لا فارق بينهما . هذا عمل خلقة الطبيعة ، وعمــل الانسان الساذج او الغرور أن آجون سمّى ابنيه باسم واحد : أنتيفولوس وسمّى عبديهما الصغيرين باسم واحد : دروميو . فكيف يمكن للمرء ان يفرّق بين التوأم والآخر ؟ من هنا نبع الغلط الأقوى ،

فالوالد نفسه الذي كان علة الوجود والذي اشترى بالمال يشق عليه أن يميز بين توأميه الواحد من الآخر وبين خادميها كذلك ، فكيف بغيره من الناس ؟

نتمثل آجون الشيخ الحزين أمام الحاكم يروي قصته المؤثرة . فاذا العاصفة تتلاعب بالمركب الذي سافر فيه مع زوجته وتوأميه والتوأمين اللذين اشتراهما . ـ نتذكر هنا العاصفة تهدد مركب أنطونيو وألونصو على شاطىء الجزيرة التي انتهى اليها بروسبيرو . ونتذكر أيضاً العاصفة التي فرقت بين فيولا وأخيها التوأم سيباستيان وما أكثر ملامح الشبه بين مسرحية الليلة الثانية عشرة ، وبين مسرحية كوميديا الغلط ! ـ الزوجة والتوأم الاكبر وخادمه يكتب لهم النجاة بواسطة صار وينقلون في زورق ، وآجون والتوأم الاصغر وخادمه تكتب لهم النجاة أيضاً .

ولكن الأمواج تفرق بين الصاريين ، فاذا الاسرة تنقسم ولا يدري النصف ماحلّ بالنصف الآخر . وانتهى آجون مع أنتيفولوس التوأم الأصغر ودروميو عبد ولده التوأم الى سرقصطه سالمين .

فاذا شبّ ولده وشبّ خادمه ونما الشوق الى الشق الثاني من العائلة التي انقسمت وسافر أنتيفولوس الأصغر وخادمه ولم يعودا وملّ آجون الانتظار قصد أفسس ، فاذا لم يعثر على ضالته عثر على الموت فانتهى به حزنه الطويل .

من هنا تبدأ المسرحيّة حركتها الحيّة ، فالدوق استبقى آجون يوماً ، وفي هذا اليوم قامت قيامة العمل . دخل العامل الكوميدي الحي في المسرحية فقويت حركتها

وتدفقت المغالطات الواحدة وراء الأخرى . تبدأ المغالطة الاولى بأن أنتيفولوس السرقسطي الذي نزل في ذلك اليوم الى بر أفسس ارسل خادمه دروميو ليربط له مكاناً في الفندق ، وبغتة يرى دروميو يعـود ، فيتعجب ويدعوه هذا الى تناول الغـداء لأن زوجته أدريانا تنتظره . من هنا تبدأ الملابسات والارتباكات ، والخلافات بين أنتيفولوس الأفسسي وزوجته ، ويتصاعد العمل ، بأن هذا الأنتيفولوس معروف فكلما رأى أفسسي ذو علاقة به أخـاه التوأم الأصغر الذي جاءَ بيحث عنـه ظنه اياه ، ولا لقاء بين الانتيفولسيين والدروميين معاً ، بل يلتقي الانتيفولوس بواحد من الدروميو فيظنه خادمه وتزداد الأزمات تعقيداً . حتى يكاد ينتهي أنتيفولوس الى السجن . ولكنه اتهم بالجنون هو وخادمه والقي بهما في غرفة مظلمـة ولوحق أنتيفولوس السرقسطي وخادمــه واحتميا في الدير .

وتخلص أنتيفولوس الأفسسي وخادمه من الغرفة المظلمـة وراحا يطلبان أدريانا الحائرة واذا آجون يساق للاعـدام والحاكم على رأس الموكب ، وتخرج رئيسة الدير ، فاذا هي زوج آجون التي نجت وفرقتها قسوة القدر عن اولادها وزوجها فالتجـأت الى الدير ، واذ التقى الانتيفولوسيان والدروميان انحلت الازمات جميعاً ، وعـاد السلام الى النفوس . وعفى الحاكم عن آجون . وتلك جرأة انسانية على القانون الحاقد .

ملاحظات عامة

ان المسرحية في فصليها الأخيرين تتصاعد تصاعداً رائعاً ، فالازمة تتلو الازمة ، والعقـدة تشتد وتشتبك حتى تبلغ ذروتها من الحيرة . اما الحل في المشهد الأخير فيأتي رائعاً ، اذ انبثق من انفتــاح باب الدير وخروج

الرئيسة التي عرفت من انتيفولوس السرقصطي وخادمه انهما ابنها وخادمه ، وخرجت للشفاعة او لاعلان الحقيقة ، فاذا الازمات كلها تتراخى والعقد جميعاً تنحل ، فترتاح النفوس للنهاية أي ارتياح .

كوميديا الغلط ـ مسرحية طريفة كل الطرافة وان تكن فيها من بعض روايات شكسبير التي ذكرنا ملامح . وهي مرتكزة على الفكرة والأحداث والخيال خصوصاً ، أكثر من ارتكازها على الاشخاص . فالابنان التوأمان متشابهان بالشخصية والمزايا الاخلاقية . قد يكون انتيفولوس السرقصطي أشوق من أخيه الى التئام العائلة ولولا ذلك لما قضى سبع سنوات في البحث عن أمه وأخيه . وقد أعطى شكسبير مكافأته اذ قيض له أن

يكتشف أمه لمّا لجأ الى الدير ، وبهذا اللجوء بدأت الازمات تتراخى .

أمّا آجون فيمثل شخصية الوالد الحق ، الذي لا يرى في الدنيا هناء ما دامت أسرته ممزقة الاوصال . وقد ناله من الشقاء ثمن غلطته بالتسمية ، وناله من الهناء اجتماع الشمل وعفو الحاكم .

ولا بُدّ ان تبرز شخصية الوالدة ، التي استطاعت ان تصبح رئيسة الدير وحامية اللاجئين اليه . ولا ننسَ شخصية أدريانا ، فقد مثلت المرأة التي تحب زوجها وتغار عليه ، والتي تعرف حقها فلا تفرط فيه ، تمثيلا صادقاً .

الخلاصة الأخيرة ان مسرحية كوميديا الغلط هي

من أخصب مسرحيات شكسبير حركة وحياة . واجواؤها الشعرية تختلف باختلاف المواقف فتجـود في المواقف الرومنطيقية بعنصر الموسيقى وبالسرحات الخياليـة . وفي أثناء العمل السريع تنبض تعابيرها بالحيوية . فاذا المسرحية لها ذاتها الخاصة وجاذبيتها المحببة ، ولا تخلو من عنصر النقد التهكمي لبعض الصرعات الشخصيـة التي تسددت نحو الغلطة الاولى . ففي كل مكان وزمان نرى رجـالاً مثل آجون يطلقون على اولادهم اسمـاء تحتمل الالتباس فتعود عليهم وعلى معارفهم بالتعب .

